قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
المجلد 15، ع(1)، يونيو، حزيران 2023م، ص 211-246

© 2023 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

دور الأساس المجتمعي في بناء الدولة في ضوء القرآن والسنة (*)

حسام موسى شوشة[1]

(The Role of the Societal Foundation in Building the State in the Light of the Qur'an and Sunnah)

Hossam Moussa Mohamed Shousha

ABSTRACT

This research focuses on demonstrating the importance of setting clear foundations for building the state, by deriving indicative meanings of those foundations from the Holy Qur'an and the Sunnah, focusing on the role of the societal foundation as a pivotal basis for achieving that great goal. In addition, the research problem lies in that the ancient Islamic thinkers - according to the researcher's knowledge - did not deal with the state and the foundations of building it in the modern concept as in Western ideologies. That is because state is a symbol of order and law, and life is not upright without them. This research focuses as well on the mutual impacts between the societal basis on the one hand and the state on the other, respectively, this is achieved by using the inductive method: through which it is possible to track and gather the verses and hadiths that establish this basis. Furthermore, the role of the analytical approach comes next: to analyze the gathered interpretive sayings of the verses and explanations of the hadiths that indicate this basis. The research has proven that the state is highly associated with life by highlighting the most significant outcomes. Therefore, the building process is possible only with the presence of a cohesive society and an individual with a balanced and aware self.

Keywords: *Society, Building, State, Quran, Sunnah.*

(*) This article was submitted on: 04/06/2023 and accepted for publication on: 22/06/2023.

[1] أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة كارابوك، تركيا
Asst. Prof., İslami İlimler Fakültesi, Karabük Üniversitesi, Karabuk, Turkey.
E-mail: hossamshousha@karabuk.edu.tr

ملخّص

يركز هذا البحث على بيان أهمية وضع أسس واضحة المعالم لبناء الدولة، من خلال استنباط معانٍ دالة على تلك الأسس انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية، مركزا على دور الأساس المجتمعي كأساس مهم لتحقيق تلك الغاية الكبرى، وتكمن مشكلة البحث في أن المفكرين الإسلاميين القدامى –حسب اطلاع الباحث– لم يتناولوا الدولة وأسس بنائها بالمفهوم الحديث كما في الفكر الغربي. ذلك أن الدولة رمز للنظام والقانون، والحياة لا تستقيم إلا بهما، كذلك يركز هذا البحث على التأثيرات المتبادلة بين الأساس المجتمعي من جهة والدولة من جهة آخر، وكيف أن لكل منهما تأثير في الآخر، وذلك من خلال استخدام المنهج الاستقرائي: والذي يمكن من خلاله تتبع وجمع الآيات والأحاديث التي تؤسس لهذا الأساس، ومن ثم يأتي دور المنهج التحليلي: لتحليل ما تم جمعه من أقوال تفسيرية للآيات وشروح الأحاديث الدالة على هذا الأساس. وقد أثبت البحث من خلال إبراز أهم النتائج أن الدولة مرتبطة بالحياة، ولا يمكن عملية البناء إلا بوجود مجتمع متماسك، يؤثر ويتأثر بالدولة.

كلمات دالة: المجتمع. بناء. الدولة. القرآن. السنة.

1. مقدمة

فإن المجتمع من أهم اللبنات التي تنبني عليها الدولة، بل قد تكون هي أهم تلك اللبنات، وإن شئت فقل إن العلاقة بينهما علاقة متلازمة غير منفكة، فلا تكون الدولة في مأمن إذا كان المجتمع عليلاً، ولا يصح المجتمع أو يتعافى إذا أصاب الدولة مرض ما، فالعلاقة بينهما كما يقول عبد الإله بلقزيز: "علاقة تلازم، والمصير واحد في السراء والضراء، ومن يبغي منهما أن ينال من الآخر ينال من نفسه"[2]، فالتجارب والمشاهدات التي تمر بها الأمة الآن في العديد مما يسمى بالدول –زوراً– تؤكد على حقيقة مهمة ذات وجهين

---

2 Bilaqzīz, ʻAbd Al-Ilah (2008). *Al-Daulah wa Al-Mujtamaʻ Jadaliyyāt Al-Tawḥīd wa Al-Inqisām fī Al-Ijtimāʻ Al-ʻArabī Al-Muʻāṣir.* Maktabah Al-Fikr Al-Jadīd wa Al-Shabakah Al-ʻArabiyyah li Al-Abḥāth wa Al-Nashr, p. 57.

لا يمكن إغفالها أو تجاهلها، وهي **هشاشة المجتمع، وهشاشة الدولة،** وفي هذا المقال نؤكد على أهمية المجتمع في جسد الدولة، وأن قوة بنيان المجتمع وتماسكه من قوة الدولة نفسها؛ ولا يمكن القبول أبداً بانهيار المجتمع وتفتُّتِ تماسكه مع كل أزمة سياسية، أو أن يتصدع بنيانه مع كل أزمة اقتصادية تمر بها الدولة، فهذه ليست دولة، ولا هذا يعد مجتمعاً؛ ومفردة الأقليات هي أسوأ مفردة يمكن أن تقال في مجتمع ما، فلا يجد عدو الدولة المتربص بها خيراً من هذه المفردة للتدخل السياسي أو العسكري وحتى المجتمعي، وسيأتي بيان ذلك واضحاً أثناء عرض المجتمع من منظور القرآن والسنة.

وتكمن مشكلة البحث في أن المفكرين الإسلاميين القدامى –حسب اطلاع الباحث– لم يتناولوا الدولة وأسس بنائها بالمفهوم الحديث كما في الفكر الغربي. ذلك أن الدولة رمز للنظام والقانون، والحياة لا تستقيم إلا بهما، كذلك يركز هذا البحث على التأثيرات المتبادلة بين الأساس المجتمعي من جهة والدولة من جهة آخر، وكيف أن لكل منهما تأثير في الآخر، فكانت قلة الأبحاث في هذا الجانب إشكالية علمية رأى الباحث أنه من الواجب الكتابة فيها. وبالتالي يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

وأسئلة الدراسة هي:

1. كيف يمكن تعريف المجتمع؟ وهل للمجتمع المسلم تعريف خاص؟
2. ما الأسس التي أرساها القرآن الكريم لبناء المجتمع؟
3. ما الأسس التي أرستها السنة لبناء المجتمع؟
4. هل للدولة تأثير عكسي على المجتمع؟

وتهدف الدراسة إلى:

1. إبراز معنى المجتمع، وتعريف المجتمع المسلم خاصة، لتحديد وجهة البحث.
2. إظهار الأسس التي أرساها القرآن الكريم لبناء المجتمع، لمعرفة كيف يمكن العمل من خلالها خلال التطبيق.
3. التركيز على الأسس التي أرستها السنة لبناء المجتمع، لإمكانية الإفادة منها في تطبيقها حالياً.
4. بيان علاقة الأساس المجتمعي بالدولة من حيث عملية البناء والتطوير.

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

1. من أبرز ما كتب حول هذا المجال ما كتبه خالد محمد خالد في كتاب أسماه **الدولة في الإسلام**[3] وهو كتاب غير مفهرس أو مُبوّب، غير أنه يمكننا أن نقسم الكتاب إلى مراحل، في المرحلة الأولى ذكر الكاتب التأصيل الشرعي لضرورة قيام دولة للإسلام، وأهمية وجود الحاكم الذي يمثل الدولة، ثم تحدث بعد ذلك في المرحلة الثانية عن بعض المبادئ العامة في الإسلام وخصائصها، ثم تحدث في مرحلته الثالثة عن منهج الدولة المسلمة في العلاقات الدولية، أما في المرحلة الرابعة من الكتاب فقد ركز على وضع الأقليات غير المسلمة في الدولة، ثم في المرحلة الخامسة والأخيرة بيّن موقف الإسلام المتمثل في دولته من العلم والجمود الفكري، ثم يختم كتابه بملحق، يذكر فيه نموذجًا للدولة التي ينشدها، وهو نموذج الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز τ، ومجمل الكتاب مفيد غير أنه لم

---

3 Khālid, Khālid bin (2004). *Al-Dawlah fī Al-Islām* (4th ed.). Dār al-Maqṭum li Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

يتطرق إلى الأسس التي تبنى عليها الدولة من القرآن والسنة، ولم يأت بمثال معاصر، الأمر الذي يتناوله هذا البحث بالدراسة والتفصيل.

2. من الكتب التي وضعت في هذا الإطار ما كتبه الدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان **من فقه الدولة في الإسلام**[4]، حيث وضع المؤلف كتابه في خمس محاور رئيسة، عالج المؤلف من خلالها فكرة الدولة في الإسلام، حيث بدأ حديثه في المقدمة عن أهمية فقه الدولة، وتقصير العلماء في هذا النوع من الفقه، والكتاب رائع مفيد من الجوانب التي تناولها، غير أنه لم يتحدث عن أسس البناء التي ينبغي أن نعمل عليها لبناء دولة إسلامية، وهو ما سيعمل الباحث عليه في هذا البحث.

3. كتب جاك دوه نيدييه دي فابر، وهو من الفقهاء القانونيين الفرنسيين كتابًا أسماه **الدولة**[5]، ضمن فيه الحديث عن المرافق العامة للدولة، والمشكلات التي تواجهها في مختلف نواحي نشاطها، وقد حرص المؤلف على أن يستعرض أهم المشكلات التي أحاطت ببلاده في الداخل والخارج، والكتاب مقسم إلى اثني عشر فصلًا تناول فيها الدولة من كل جهاتها، والكتاب من الكتب الهامة في حديثنا عن الدولة الحديثة، وبطبيعة الحال فإن الكاتب لم يربط بين الدولة والإسلام، وهو ما يقوم به بحثنا هذا.

---

4 Al-Qaradāwī, Yūsuf (1997). *Min Fiqh Al-Dawlah fī Al-Islām*. Dār Al-Shurūq.

5 Jacques Dondier de Fabre (n.d.). *Al-Dawlah* (Aḥmad Ḥasīb ʻAbbās, Trans.). Sharikah Al-Amal.

4. تحت عنوان **شروط النهضة**[6] قسّم الأستاذ مالك بن نبي كتابه إلى بابين، وذكر في كل منهما عدة عناصر، ثم يُتبِع البابين بملحق مستقل يتحدث فيه عن الاحتلال والشعوب المحتلة وخطورة تكيفها مع المحتل، والكتاب لم يتطرق إلى الأسس التي تنبني عليها الدول، ولا إلى نمذجة حقيقية انطبقت عليها شروط النهضة التي أشار إليها في العصر الحديث، وهو ما سنؤكد عليه في بحثنا بأمر الله.

وطبيعة هذا البحث تقتضي استخدام المنهجيين التاليين:

المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع المعلومات من المصادر التفسيرية والحديثية، والكتب القديمة والحديثة التي تخصصت في موضوع بناء الدولة، واستقصاء المواد العلمية الخاصة بأهمية المجتمع والفرد للدولة، والكس صحيح.

المنهج التحليلي: من خلال هذا المنهج يتم دراسة ما تم جمعه من معلومات ومواد علمية خاصة بدور الفرد والمجتمع في بناء الدولة، ومن ثم تحليلها تحليلًا علميًا يتم خلاله رصد الأسس التي تقام عليها الدول وفي القلب منها الأساس المجتمعي والنفسي.

وللوصول إلى المجتمع الذي يمكن للدولة أن تعتمد عليه كأساس متين قوي من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، على البحث أن يبرز عدة نقاط، ويمر عبر المطالب الآتية:

2. تعريف المجتمع، وبيان وبيان مفهوم المجتمع المسلم.

6 Nabī, Mālik bin (1986). *Shurūṭ Al-Nahḍah* (‘Abd Al-Ṣabūr Shāhīn, Ed.). Dār Al-Fikr.

يتناول البحث في هذا المطلب مفهوم الأساس المجتمعي من خلال تعريف المجتمع في معاجم اللغة العربية، ثم ينتقل لتعريف المجتمع اصطلاحاً عند علماء الاجتماع، ثم يحاول الوصول إلى تعريف للمجتمع المسلم بما يتماشى والبحث، وذلك كالآتي:

تعريف المجتمع لغة: لفظة مجتمع من الفعل الثلاثي (ج م ع)، وقد جاء في ذلك أنها: اسم لجماعة الناس. ويجمع جموعاً، وقال الليث: جماع كل شيء: مجتمع خلقه. من ذلك جماع جسد الإنسان. واستجمع القوم، إذا ذهبوا كلهم لم يبق منهم أحد، كما يستجمع الوادي بالسيل[7]. وجمعت الشيء إذا جئت به من هاهنا وهاهنا. وتجمع القوم: اجتمعوا أيضا من هاهنا وهاهنا. و (الجمع) أيضا اسم لجماعة الناس، و (جمع) أيضا المزدلفة لاجتماع الناس بها.

وبعد بيان معنى المجتمع ومادته الأساسية في معاجم اللغة العربية، بقي تعريف المجتمع تعريفاً اصطلاحياً؛ فما تعريف المجتمع في الاصطلاح؟

تعريف المجتمع اصطلاحاً: بعد معرفة معنى المجتمع في معاجم اللغة العربية يمكن تعريف المجتمع بأنه هو: "كل مجموعة أفراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم، ولها أثر دائم أو مؤقت في حياتهم وفي علاقاتهم مع بعض، جمعت بينهم مصالح مشتركة، تحكمهم قوانين واضحة المعالم"[8].

---

7 Al-Harawī, Abū Manṣūr (2001). *Tahdhīb Al-Lughah* (Muḥammad ʻAuḍ Marʻab, Ed.). (Vol. 1). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-ʻArabī, p. 256, Ibn Manẓūr, Abū Al-Faḍl (1994). *Lisān Al-ʻArab* (3rd ed., Vol. 8). Dār Ṣādir, p. 53 & Al-Rāzī, Abū ʻAbd Allāh Zayn Al-Dīn (1999). *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ* (Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, Ed.). (5th ed., Vol. 1). Al-Maktabah Al-ʻAṣriyyah & Al-Maktabah Al-Mamūdhajiyyah, p. 60.

8 Wāfī, ʻAlī ʻAbd Al-Wāḥid (n.d.). *ʻIlm al-Ijtimāʻ*. Nahḍah Miṣr li Al-Ṭibāʻah wa Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ, p. 16.

تعريف المجتمع المسلم كمركب إضافي: إن المجتمع المسلم ككل مجتمع إنساني له نفس العناصر الأساسية المكونة لكل مجتمع، وهي: الإنسان، والروابط، والمصالح، والأهداف المشتركة، والعرف، أو القانون، والأرض، بيد أنه يتميز ببعض الروابط كالعقيدة الإسلامية، وتحكيم الشريعة. وعلى هذا يمكن تعريفه بأنه: "عدد هائل من الأفراد المسلمين، جمعت بينهم مصالح، وعاشوا معًا في أرض واحدة، واتبعوا الإسلام عقيدة، ومنهج حياة"[9].

3. القرآن الكريم وإعداد المجتمع

لم يكن ممكناً للمجتمع العربي أن يصل إلى ما وصل إليه من رقي وحضارة وتقدم من خلال الإغارة على بعضهم البعض كما كان يحدث في الجاهلية، وفي زمن اللا دولة[10]، وإنما تمكنوا من ذلك في ظل دولة تستمد وجودها من تعاليم القرآن الكريم، والذي حولهم لمجتمع متماسك متآخ، يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وقد تم ذلك التحول الفريد من خلال عدة أسس ومبادئ أرساها القرآن الكريم في نفوسهم وهي كالآتي:

1- **ترسيخ مفهوم الإيمان السليم:** الإيمان بالله رباً، وبنبيه ﷺ رسولاً، وبالإسلام ديناً له أعلى درجات القدسية في النفس، والإقرار بالقرآن دستوراً، يُعتبر كل ذلك جوهر التشريع وأساس المجتمع القرآني، فالمؤمن بتشريع القرآن يؤمن بوجود الله القادر المسيطر على هذا الكون، ويؤمن بيوم الفصل الحساب، ويؤمن بأن الدنيا إلى زوال وأن الآخرة هي دار القرار، فهو يراقب الله ويخشاه في السر والعلانية، في كل حركاته وسكناته،

---

9 Al-Jawābī, Muḥamad Ṭāhir (2000). *Al-Mujtama‘ wa Al-Usrah fī Al-Islām* (3rd ed.). Dār ‘Ālim Al-Kutub li Al-Ṭibā‘ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzi‘, p. 14.

10 أعني به زمن انعدام سطوة الدولة وعدم تأثيرها في المجتمع والسيطرة عليه وفرض القوانين.

في خلواته وجلواته، فلا يعمل إلا ما يرضي ربه، لا يخون عهداً ولا أمانة، ولا ينحرف عن الطريق المستقيم.

ونور الإيمان بالله رباً وبالقرآن دستوراً ومنهجاً يملأ النفس بالراحة والطمأنينة، والهدوء والسكينة، وينير الطريق أمام المؤمن، ويعصمه من الانحراف والضياع، إن تكلم فبالله، وإن أراد فلله، وإن عمل فبحول الله، يؤدي واجبه كأفضل ما يكون، ولا يتعدى على حقوق الآخرين، يقول سيد قطب في وصف النفوس المطمئنة: "المطمئنة إلى ربها. المطمئنة إلى طريقها. المطمئنة إلى قدر الله بها. المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء. المطمئنة فلا ترتاب. والمطمئنة فلا تنحرف. والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق. والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعيب"[11].

وهذا المجتمع وهذه النفوس متأكدة مطمئنة أن الإيمان بشريعة القرآن يحقق الخير للجميع، دون بغي أو عدوان، ويكفل حرمة الحقوق، ويسعد الفرد والجماعة، ويؤدي إلى الرخاء والاطمئنان، فلا تجد منهم من يرى في التشريع القرآني نقصاً أو خطأً، ولسان حالهم قول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: 36]، وقول الله: ﴿**سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: 285].

---

11 Sayyid Quṭb (1992). *Tafsīr Fī Ẓilāl Al-Qur'ān* (17th ed., Vol. 6). Dār Al-Shurūq, p. 3907.

وبالمقارنة بين مراحل الأمة الإسلامية نجد أن من اصطبغوا بالإيمان وسلموا قلوبهم للإيمان يعمل فيه عمله، ويظهر فيه براعته ونوره، والذين قبلوا ذلك مستسلمين راضين فرحين، نجدهم وقد حولهم القرآن إلى أقوى مجتمع عرفه التاريخ، فقويت بهم دولتهم وملكوا الدنيا بأسرها في برهة من الزمن، بينما الذين ما سلّموا قلوبهم للإيمان، وتمردوا عليه، فلم يقبلوا بتشريع القرآن لهم، واستبدلوه بغيره، نراهم وقد ضلوا عن الطريق فلم يعودوا يعرفون منكراً من معروف، ولا ظلمة من نور، فضعفت بهم مجتمعاتهم وانهارت معهم دولتهم.

2- **ترسيخ مفهوم الأخوة الإنسانية** فالناس جميعاً إخوة، يقول النبي ﷺ: «كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم»[12]. وقد وردت كلمة أخ في القرآن قريباً من مئة مرة، ووردت كلمة إنسان أقل من هذا العدد بقليل، وإن دل ذلك فإنما يدل على عظمة هذه الأخوة، ومدى الدعوة للمحافظة عليها ودعم روابطها، وعدم تقطيع أواصرها.

وقد أكد القرآن الكريم على مفهوم الأخوة الإنسانية من خلال تذكير الله للأنبياء بهذا المعنى، حيث سمى الله قومهم بإخوانهم بالرغم من تكذيبهم وعنادهم، فمثلاً قال تعالى في قوم نوح: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ**

---

12 Al-Bayhaqī, Abū Bakr (2003). *Shu'b Al-Īmān* (Vol. 7). Maktabah Al-Rushd li Al-Nashr wa Al-Tawzī' & Al-Dār Al-Salafiyyah, (no. hadith: 4773), p. 131 (والحديث قد ضعفه البيهقي عن أبي أمامة، والعلة أن فيه راو مجهول). Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn (2005). *Jam' Al-Jawāmi': Al-Jāmi' Al-Kabīr* (Mukhtār Ibrāhīm Al-Hā'ij, 'Abd Al-Ḥamīd Muḥammad Nadā & Ḥasan 'Īsā 'Abd Al-Ẓāhir, Eds.). (2nd ed., Vol. 12). Al-Azhar Al-Sharīf, p. 233.

الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 104]. وكذا في ثمود وصالح ولوط، وعندما خاطب القرآن مشركي مكة خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ولم يصفهم بالشرك أو الكفر إلا في مواقف محددة، وما ذلك إلا لوجود تلك النزعة الإنسانية العظيمة فيهم.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد حقق داخل الفرد والجماعة أهم مقوم لتجميع الأفراد وتوثيق ما بينهم، وهو الهدف الذي لا يرتقي الفرد لمرتبة الجماعة بدونه، وهو الأخوة الإنسانية.

ولكي تبقى هذه الروابط بين لبنات المجتمع قوية بناءة لا يعتريها خلل أو كسل، أو يحرفها عن جادة الطريق شيء، يجب أن تستمد ذلك من قوة علوية ربانية، لا تضل ولا يمكن أن تتأثر بأهواء الناس، أو تحابي أحداً على أحد، وهذه القوة العلوية هي القرآن الكريم، يقول الله ﷻ: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** [الإسراء: 9]. فالروابط بين أفراد المجتمع كالدوائر تتسع وتضيق، والعلم بها كصعود جبل، كلما تابعت المسير اتسعت أمامك دائرة الرؤية الصحيحة، وبالمجمل لن يجد الإنسان أوسع من إطار المجتمع القرآني وأشمل.

3- **ربط المجتمع بالتشريع القرآني**[13]: من مميزات المجتمع الإسلامي أنه لا يقوم على المصالح الاجتماعية وحسب، بل تربطه تشريعات ربانية،

13 Al-Ma'āny. (2023). Al-Tashrī' Al-Qur'ānī. In *Al-Maany.com dictionary*. Retrived May 1, 2023, from https://bit.ly/2Eo2Jxn (يقصد البحث بالتشريع القرآني تلك

وقوانين إلهية يسير عليها، ولا يحيد عنها، فهذا المجتمع المسلم لا ترى أفراده يحيدون عن الحق لمجرد مصلحة اجتماعية، بل لا يمكن للقرآن أن يقبل بهذا الحيد عن الحق إلى الباطل للمصالح والأهواء بحجة مصلحة المجتمع، فلربما كانت مصلحة اليوم هي مضرة الغد. ولذا فإن القرآن الكريم اعتبر الارتباط بالشرع قبل المصلحة الاجتماعية، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [الشورى 38].

ذلك أن الشرع يرى الحقيقة الكلية والمصلحة الاجتماعية من كل جنباتها الآنية والمستقبلية، على عكس النظرة المجتمعية –غير المرتبطة بالقرآن– الآنية القاصرة، فمهما بلغ المخططون للمجتمع من براعة ونبل غاية، فإنهم لا محالة واقعون في تهمة تمييز أنفسهم ومجتمعهم فحسب في اللحظة الآنية، وذلك ليس لسوء طوية أو فساد نية، بل لقصور فهم وعدم معرفة ما يمكن أن يكون صالحاً في المستقبل لهذا المجتمع، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: 41]. ولذلك أنزل الله آيات التشريع في القرآن الكريم حيث لا يمكن للقرآن أن يتغافل عن واقعية طبيعة البشر، وهذه الواقعية من أهم أسباب نجاح التشريع القرآني، يقول الله تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: 14].

الآيات الحاكمة في التعامل بين الناس بما يحفظ للجميع حقوقه، دون تمييز بين عرق أو لون. كما أن التشريع هو سن القوانين (فإن التشريع القرآني هو القوانين والفرائض كما سنها القرآن.

وبالتالي حين تبتعد البشرية عن منهج من خلقها تأتيها الشقوة والمهلكة، البشرية المسكينة الحائرة، البشرية التي لن تجد الرشد، ولن تجد الهدى، ولن تجد الراحة، ولن تجد السعادة، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير! ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها، ونكبة قاصمة في حياتها، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألمّ بها من نكبات[14]، فكل تفاعل بشري لابد وأن يحدث فيه ما يوجب تنظيماً يحفظ الحقوق لأفراده، وهذا التنظيم في التشريع الإسلامي يسمى جزء منه بالحدود، فمثلاً قال تعالى في حد السرقة: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: 38]، وفي القتل: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ [النساء: 92]، وهذه الحدود ليست هي الأصل في التعامل البشري كما يحاول المستشرقون أن يصوروا ذلك، بل إن هذه الحدود لحفظ حقوق أفراد المجتمع كافة من أي انحراف بشري، أو خروج على المجتمع؛ وإذا أمن المجتمع من الخارجين عليه ممن يسمون في عصرنا (مخلين بالأمن العام) فقد تهيأ مناخ صالح يتنفس فيه الأفراد حرياتهم،

14 Sayyid Quṭb (1992). *Tafsīr Fī Ẓilāl* (Vol. 1), p. 15.

وينعمون بالطمأنينة والأمان، فتنطلق الطاقات في ميادين العمل المنتج، وقد وقفت من ورائها دوافع قوية منشؤها توافر مقومات الحياة التي وضع نظام الحدود لصيانتها والحفاظ عليها[15]. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة فرق بين الحدود والقصاص، فالحدود حقوق تتعلق بالله تعالى، أما القصاص فحقوق تتعلق بالعباد.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد تحول بالفرد من حياة السلب والعدوان وتغليب المصلحة الشخصية إلى المسلم الجندي الذي يأتمر بأمر الشرع فيغلب مصلحة المجتمع على مصلحته الشخصية، ذلك أنه يعلم أن هذا ليس من حقه وحده، ويعلم أن من يفعل ذلك يناله عقاب أليم لأن الله المشرع له يقول: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: 161]، وفي الآية وعيد لمن يغل من الغنيمة، أو في زكاته، فيجحدها ويمسكها، فالفضيحة يوم القيامة بأن يأتي على رؤوس الأشهاد بالشيء الذي غل في الدنيا[16]، إذن فالشرع هو الذي حول هذا المجتمع من حياة النهب إلى أن يصير أحدهم كما يقول الطبري: "لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الغنائم، أقبل رجل ومعه حق من الجوهر الفريد ودفعه إلى صاحب الغنائم فعجب صاحب الغنائم ومن معه من ذلك الحق وقالوا: ما يعدله كلما جمعنا اليوم، وسألوا الرجل هل أخذت منه شيئا؟ فقال: أما والله لولا الله ما

---

15 Al-Dhahabī, Muḥammad Husayn (1986). *Athar Iqāmah Al-Ḥudūd fī Istiqrār Al-Mujtama'* (2nd ed.). Maktabah Wahbah, p. 29.

16 Al-Andalusī, Ibn 'Aṭiyyah (2002). *Al-Muḥarrar Al-Wajīz fī Tafsīr Al-Kitāb Al-'Azīz* ('Abd al-Salām 'Abd al-Shāfī Muḥammad, Ed.). (Vol. 1). Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 536.

أتيتكم به، فقالوا من أنت؟ فأجاب: والله لا أخبركم فتحمدوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه"[17].

4- **الحث على التضامن والتكافل**[18]: لقد حرص الإسلام أيما حرص على تكافل المجتمع وتضامنه في جسد واحد، فقعد لذلك قواعد، وسن تشريعات لهذا المجتمع، فيزداد بها تماسكه وتقوى به لُحمته، ومن ذلك الزكاة، فهي تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء لكي يشعروا جميعاً أنهم جسد واحد، يقول ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[19]، وهي ليست منة أو تفضلاً من الغني، بل واجباً وحقاً للفقراء في مال الأغنياء، هم مستأمنون عليه إلى حين سداده، قال تعالى: ﴿**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [الذاريات: 19]، يقول الشوكاني في تفسير ذلك: "أي: يجعلون في أموالهم على أنفسهم حقاً للسائل والمحروم تقرباً إلى الله"[20].

---

17 Ibn al-Athīr, ‘Izz al-Dīn (1997). *Al-Kāmil fī Al-Tārīkh* (‘Umar ‘Abd Al-Salām, Ed.). (Vol. 2). Dār Al-Kitāb Al-‘Arabī, p. 343.

18 Ibrāhīm, Imām (1984). *Dawr Al-I‘lām fī Al-Taḍāman Al-Islām* (16th ed.). Al-Jāmi‘ah Al-Islāmiyyah. p. 260 (يقصد به أن يجعل الغني من المجتمع فيما أعطي كفلاً أي قسطاً من ماله للمحتاجين، **والتضامن الاسلامي** هو: "المبادرة النابعة من أصول العقيدة الإسلامية، لإرساء قواعد الحياة على أسس متينة في عالم تتنازعه المطامع").

19 Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismā‘īl (2002). *Al-Jāmi‘ Al-Musnad Al-Ṣaḥīḥ Al-Mukhtar min Umūr Rasūl Allāh wa Sunanih wa Ayyāmih: Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī* (Muḥammad Zuhayr bin Nāṣir Al-Nāṣir, Ed.). (Vol. 8). Dār Ṭawq Al-Najāh. (Kitāb Al-Adab, Bāb Raḥmah Al-Nās wa Al-Bahā’im, no. hadith: 6011), p. 10.

20 Al-Shawkānī, Muḥammad bin ‘Alī (1994). *Fatḥ Al-Qadīr* (Vol. 5). Dār Ibn Kathīr & Dār Al-Kalim Al-Ṭayyib, p. 101.

5- **ترسيخ مفهوم الوحدة والاعتصام بالله وعدم الفرقة:** إن القرآن الكريم قد حول المجتمع الجاهلي من مجتمع الشتات والفرقة والتحارب والتناحر، إلى مجتمع الوحدة والتماسك والتقارب، فيقول القرآن آمراً هذا المجتمع: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: 103]، يقول صاحب المنار: "وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع، وبه نتحد، لا بجنسيات نتبعها، ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواضعات نضعها، ولا بسياسات نخترعها، ثم نهانا عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع والاعتصام، لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة، وبالعزة يعتز الحق فيعلو في العالمين، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين"[21].

ولذلك فإن أسوأ ما يمكن أن يضر بالمجتمع هو الفرقة والتشرذم، لذا حرص الإسلام إبان عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، والسبيل التي وحّد الله بها الأمة هو اتحاد دستورها، واعتصامها

21 Rashīd Riḍā, Muḥammad (1990). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Ḥakīm: Tafsīr Al-Manār* (Vol. 4). Al-Hay'ah Al-Miṣriyyah Al-'Āmah li Al-Kitāb, p. 17-19.

بكتاب الله وسنة نبيه[22]، ولذلك قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[23].

6- **الدعوة إلى التقدم والرقي الحضاري:** لقد وضع القرآن الكريم الأساس القويم لبناء وتقدم الحياة في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ [النور: 55]، ويقول ابن عاشور في ذلك: "فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضح لهم الشرع تحقق وعد الله إياهم بهذا الوعد الجليل؛ وهذه التكاليف التي جعلها الله قواماً لصلاح أمور الأمة ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسبابا لها"[24].

وهذا هو عين ما يقصده البحث من تحقق أسباب التمكين والعلو في الأرض بشرط التمسك بأسباب التقدم والعلو، ولذلك ترى الدولة التي تعمل بأسباب التمكين في علو وتقدم وإن كانت غير مسلمة.

---

22 Al-Zuhaylī, Wahbah bin Muṣṭafā (1998). *Al-Tafsīr Al-Wasīṭ* (2nd ed., Vol. 1). Dār Al-Fikr Al-Muʿāṣir, p. 221.

23 Al-Naysābūrī, Muslim bin Al-Ḥajjāj (n.d.). *Al-Musnad Al-Ṣaḥīḥ Al-Mukhtaṣar bin Naql Al-ʿAdl ʿan Al-ʿAdl ilā Rasūl Allāh Ṣallā Allāh ʿalayh wa Sallama* (Vol. 1). Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī (Kitāb Al-Īmān, Bāb Lā Tarjiʿū Baʿdī Kuffāran Yaḍribu Baʿḍukum Riqāb Baʿḍ, no. hadith: 65), p. 81.

24 Ibn ʿĀsūr, Muḥammad Al-Ṭahir (1984). *Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr: Taḥrīr Al-Maʿnā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-ʿAql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd* (Vol. 18). Al-Dār al-Tunisiyyah li Al-Nashr, p. 284.

إذا كان تقدم أي مجتمع مرهون باستقرار أوضاعه الداخلية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) فإن القرآن دعا إلى تحقيق هذا الاستقرار في جوانبه الثلاث:

أ- ولتحقيق الاستقرار السياسي[25] أمر القرآن الكريم بطاعة أولي الأمر، فقال الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ**﴾ [النساء: 59]، كما أمر بالوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف، فقال ﷻ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103]، وقال: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: 46]، كما جعل الحوار والتشاور من أهم أسس بناء الدولة فقال: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: 38].

ب- ولتحقيق الاستقرار والنمو الاقتصادي[26] دعا الله إلى إعمار الكون فقال: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: 15]، كما علمنا القرآن الكريم الاهتمام بالزراعة والسدود من خلال قصة سد سبأ، والاهتمام بالصناعة من خلال قصة داود ﷺ (مؤسس الصناعات الحربية) بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ**

---

25 هو قدرة حكومة الشعب على المشاركة أو الوصول أو التنافس على السلطة من خلال العمليات السياسية غير العنيفة والتمتع بالمنافع والخدمات الجماعية للدولة. ويستند ذلك إلى أربعة شروط ضرورية لتحقيق: توفير الخدمات الأساسية، وإدارة موارد الدولة، والمشاركة المدنية والتمكين، والاعتدال السياسي والمحاسبة. Wikipedia. (2023). Istiqrār Siyāsī. In *Wikipedia.Org.* Retrived May 1, 2023, from https://bit.ly/2EqieVv.

26 عبارة عن عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية ومستمرة عبر فترة ممتدة من الزمن (ربع قرن) بحيث تكون هذه الزيادة أكبر من معدل نمو السكان، مع توفير الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة من التلوث، والحفاظ على الموارد غير المتجددة من النضوب. Wikipedia. (2023). Numū Iqtiṣādī. In *Wikipedia.Org.* Retrived May 1, 2023, from https://bit.ly/2tMsjqW.

﴿لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: 80]، وقصة سليمان (مؤسس الصناعات المدنية) بقوله ﷻ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وفي القرآن الكريم سُمِّيت سورة كاملة بالحديد إشارة لفضل هذا المعدن وأهميته في الصناعتين الحربية والمدنيّة على حد سواء، فقال الله عن الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25].

ج- وفي دعوة القرآن إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي[27] ركز على الأخلاق الحميدة والأُخُوّةِ والتآلف بين الناس، وأمر بالإحسان للآخرين، ووصف البر الحقيقي بأنه من جمع خصال الإيمان والإحسان إلى الخلق، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

وأخيراً فمن مميزات المجتمع القرآني أنه لا يعرف الانكفاء على نفسه والانغلاق والعصبية والعرقية والإقليمية، بل هو مجتمع منفتح يدعو لخير الإنسان والإنسانية جمعاء، وذلك

---

27 وهو الحرص على استغلال كل الطرق والوسائل والسبل الممكنة للمجتمع من أجل تأمين الاستقرار في المجتمع، وبهدف حماية مكتسباته المادية والمعنوية. Salīm, Danā (2018). Mā Huwa Ma'nā Al-Amn fi Al-Lughah? Wa Mādhā Ya'nī Al-Amn Al-Ijtimā'ī Ta'rīfāt Muta'addidah. *Tharwatanā*. https://bit.ly/2v52wuC.

مصداقاً لقول الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107].

4. السنة النبوية وبناء المجتمع

من المعلوم أن بداية الدعوة كانت في مكة المكرمة، ومن يومها الأول والنبي ﷺ يضع أولى خطوات المجتمع الذي سيحمل الدولة التي ستقود العالم بأسره بعد ذلك، وقد تم ذلك على مرحلتين، المرحلة الأولى وهي المسماة بالمرحلة المكية، والمرحلة الثانية وهي المسماة بالمرحلة المدنية، وقد تمت كل مرحلة من خلال عدة عمليات مهمة، وفيما يلي بيان ذلك:

المرحلة الأولى: المرحلة المكية

في مكة كانت العمليات الأساسية ذات التأثير الاجتماعي والسياسي التي قام النبي ﷺ بها منحصرة في ثلاث عمليات:

العملية الأولى: وهي عملية البناء الداخلي لمجتمع المسلمين روحياً من قيام لليل وتلاوة للقرآن وغير ذلك، وذلك من خلال وسائل وأدوات مختلفة، تقوم كلها على تعاليم الإسلام حينها، والتي كانت تحمل طبيعة روحية مثل قيام الليل بالصلاة، وتلاوة القرآن، ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل: 1-4]، ولهذا بدأت في هذه المرحلة عملية تصفية العقيدة الملوثة بالشرك وعبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد لا شريك له، يقول سيد قطب في ذلك: "فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن. إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر،

وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء، والسلوى والراحة والاطمئنان. ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام، إلى الصبر وإلى الصلاة"[28].

ودوماً كان التذكير بأحوال الأمم السابقة مع رسلهم، وعاقبة كل من الظالمين والمسلمين في كل أمة حاضراً في نفوس المسلمين مما يثبتهم ويشد من أزرهم، يقول تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: 120]، أورد الله ﷻ هذه الآية في ختام سورة هود –المكية– والتي كانت تذكيراً بأخبار الرسل مع أقوامهم ومصير كل فريق، وفي ذلك يقول وهبة الزحيلي: "نقصّها عليك أيها النّبي بقصد تحقيق فائدتين: **الفائدة الأولى**: ما به يقوى الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى... فلك بالمرسلين السابقين أسوة حسنة وقدوة تقتدي بها. **الفائدة الثانية**: وتبيّن لك في هذه السورة وفي قصص الأنبياء ما هو الحق والصدق واليقين: وهو وحدانية الله وعبادته وحده، وإثبات البعث، وفضل التقوى والأخلاق الكريمة. كما أن في تلك الأنباء عظة وعبرة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون"[29].

وقبل ذلك ومعه كان ترسيخ مفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة بصفائها ونقائها وتمايزها عن العقائد الباطلة، مع تبشير المسلمين بمستقبل مملوء بالنصر والتمكين والمجد، قال تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: 40]، وقد حققت هذه الأدوات والوسائل نجاحًا باهراً.

ويجدر الذكر هنا ببعض وسائل تربية النبي ﷺ لمجتمع الصحابة الذي سيحمل الدولة على كتفه ومن ثم العالم كله، من هذه الوسائل فكرة تكوين أُسر أو مجموعات صغيرة

---

28 Sayyid Quṭb (1992). *Tafsīr Fī Ẓilāl* (Vol. 1), p. 142.

29 Al-Zuhaylī (1998). *Al-Tafsīr Al-Wasīṭ* (Vol. 2), p. 1085.

لها نقيب أو مسؤول أو مربي، يختاره النبي ﷺ ليكون معلماً ومربياً لهذه الأسرة، ومثال تلك الأسر، أسرة خباب بن الأرت والذي كان فيها نقيباً على فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد[30]، وفي هذا تأكيد على نظام المجموعات أو الأسر الذي استخدمه النبي ﷺ في تربية المجتمع المكي.

العملية الثانية: التوعية بأساليب العدو وأخذ إجراءات خاصة مثل كتم الإيمان، والإسرار بالعبادة والشعائر بالنسبة للبعض، أو السماح بالكفر الظاهري عند الخوف من القتل، ومن ذلك حادثة عمار بن ياسر، حين عذبه أهل مكة لينال من النبي ﷺ ويسبه، ويذكر آلهتهم بخير، فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان قال: «إن عادوا فعد»[31]، ومثل القبول أو طلب حماية بعض سادة قريش الكفار ممن تعاطفوا مع بعض المسلمين بسبب صلة الدم أو النسب، أو الصداقة أو بدوافع أخلاقية ذاتية، ومن أبرز الأمثلة على الحماية التي تمت بدافع النسب والدم حماية أبي طالب للنبي ﷺ، وحماية عشيرة أبي بكر الصديق له، وكذا عشيرة عثمان

---

30 Al-Mubārakfūrī, Ṣafiyy Al-Raḥmān (n.d.). *Al-Raḥīq Al-Makhtūm*. Dār Al-Hilāl, p. 54.

31 Al-Naysābūrī, Abū ʻAbd Allāh Al-Ḥākim (1990). *Al-Mustadrak ʻalā Al-Ṣāḥīḥayn* (Muṣṭafā ʻAbd Al-Qādir ʻAṭā, Ed.). (Vol. 2). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah. (Kitāb Al-Tafsīr, Tafsīr Sūrah Al-Naḥl, no. hadith: 3362), p. 389. وعلق عليه الذهبي بقوله: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات 3/ (249)، وأبو نعيم في الحلية 1/ 140، من طريق عبيد الله بن عمرو به. & Al-Bayhaqī, Abu Bakr (2011). *Al-Sunan Al-Kabīr* (ʻAbd Allāh bin ʻAbd Al-Muḥsin Al-Turkī, Ed.). (Vol. 17). Markaz Hajar li Al-Buḥūth wa Al-Dirāsāt Al-ʻArabiyyah wa Al-Islāmiyyah, p. 140.

ابن عفان له وغيرهم[32]، ومن أبرز عمليات الحماية بدوافع أخلاقية حماية المطعم بن عدي للنبي ﷺ بعد عودته من الطائف[33]، وكذلك إجارة ابن الدُغنة –سيد القارة– لأبي بكر الصديق عندما همَّ الأخير بالهجرة إلى الحبشة[34].

ولتحقيق هذه الحماية الدينية والجسدية أيضًا تم استعمال أسلوب آخر هو أسلوب الهجرة، وفي هذا الإطار تمت عمليتا الهجرة للحبشة، الهجرة الأولى والهجرة الثانية، وهما عند التدقيق والنظر بروية وتعقل دخول في حماية ملك أجنبي عن مكة هو ملك الحبشة، الذي كان معروفًا عنه في ذلك الوقت أنه ملك عادل لا يظلم أحدًا.

هذا وقد حققت هذه الأدوات كلها نجاحًا ملحوظًا وإن تفاوتت درجاته، ورغم هذا ففي هذه المرحلة تم حبس النبي ﷺ وعشيرته من بني عبد المطلب وبني هاشم –سواء مسلميهم أو كافريهم المساندين للنبي– في شعب أبي طالب ثلاث سنوات لا يصلهم الطعام إلا تهريبًا[35]، كما تعرض الكثير من المسلمين للتعذيب طوال العشر السنوات التي دارت فيها الدعوة الإسلامية في مكة في شقها العلني، بل مات بعض المسلمين تحت التعذيب كما تعرض الكثيرون منهم لإصابات بالغة وخطيرة، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى[36].

---

32 Al-Mubārakfūrī (n.d.). *Al-Raḥīq Al-Makhtūm*, p. 92.

33 Hishām, Abū Muḥammad ʿAbd Al-Malik (1955). *Al-Sīrah Al-Nabawiyyah li Ibn Hishām* (Muṣṭafā Al-Saqā, Ibrāhīm Al-Aybārī & ʿAbd Al-Ḥafīẓ Al-Shalabī, Eds.). (2nd ed., Vol. 1), Sharikah Maktabah wa Maṭbaʿah Al-Bābī Al-Ḥalabī wa Awlāduh, p. 381.

34 Ibn Isḥāq, Muḥammad (1978). *Sīrah Ibn Isḥāq: Kitāb Al-Siyar wa Al-Maghāzī* (Suhayl Rikāz, Ed.). Dār Al-Fikr, p. 235.

35 Al-Wāqidī, Muḥammad bin ʿUmar (1989). *Al-Maghāzī* (Marsden Jones, Ed.). (3rd ed., Vol. 2). Dār Al-Aʿlamī, p. 828.

36 Mujīb, ʿAbd Al-Munʿim. (2015, June 4). Kayf Banā Al-Nabī Muḥammad Ṣallā Allāh ʿalayh wa Sallama Al-Dawlah Al-Islāmiyyah?. In *IslamWay*. https://tinyurl.com/y54zfouy.

العملية الثالثة: سعي النبي ﷺ لإقامة مجتمع ومن ثم دولة الإسلام في بلد غير مكة، وذلك من خلال دعوة كبار ورؤساء العديد من قبائل الجزيرة العربية للإسلام والتعاهد على النضال من أجل حماية دعوة الإسلام، ومن ذلك دعوة النبي ﷺ لزعماء القبائل في موسم الحج من كل عام بمكة، كما أنه ذهب بنفسه للطائف حيث عرض دعوته على زعمائها فرفضوا الإسلام[37]، وفي هذا الإطار دعا النبي ﷺ العديد من القبائل ورفض البعض بينما تردد آخرون، وفي النهاية قبل أهل يثرب الإسلام.

وبذلك انتهت العمليات الثلاث لتكوين مجتمع مسلم آمن قوي في المرحلة المكية، وهي المرحلة الأولى من مراحل بناء المجتمع المدني الذي سيحمل عبء الدولة فيما بعد، وهي المرحلة المدنية.

المرحلة الثانية: المرحلة المدنية

بعد أن استطاع النبي ﷺ في المرحلة الأولى المكية من تثبيت أركان الإسلام في نفوس الرعيل الأول، وتكوين مجتمع فريد من نوعه، متماسك متحاب رغم الصعاب، استطاع ﷺ بتدبير الله أن يجد له موطناً جديداً ليبني له دولة جديدة قوية في مجتمع جديد، ومع اختلاط المجتمع القديم من الرعيل الأول (المجتمع المكي) مع المجتمع الجديد من أهل يثرب (المجتمع المدني) كان لابد من وضع أطر جديدة لهذا المجتمع الوليد كمسلمين فيما بينهم، وكمسلمين مع غيرهم من غير المسلمين القاطنين معهم في نفس البقعة من الأرض، وهذه الأطر وهذه الأسس التي بنى عليها النبي ﷺ المجتمع المدني يمكن أن نتبينها في النقاط التالية:

---

37 Al-Mubārakfūrī (n.d.). *Al-Raḥīq Al-Makhtūm*, p. 113.

أولاً: بناء المسجد (وهو بمثابة مجلس الشورى أيضاً): لم يكن اختيار بناء المسجد كأول عمل للنبي ﷺ في المدينة عملاً عشوائياً، بل كان عملاً مدروساً له أبعاده التعبدية والتشريعية في المقام الأول، ويليه في الأهمية البعد الاجتماعي، فالمسجد كان في بدايته داراً ومأوى لمن لا بيت له، فينام فيه ويرتاح دون إحساس بالعوز إلى الآخرين، ومثال ذلك أهل الصفة؛ والمسجد مكان العبادة الذي طالما حلم به المسلمون، حيث يجتمعون في مكان واحد تحت سقف واحد خلف قائد واحد يؤدون عبادة وشعائر واحدة، فتزداد لحمة المجتمع تماسكاً.

وصدق قول الله تعالى إذ يقول: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: 108]، أي: إن مسجداً قصد ببنائه –منذ وضع أساسه في أول يوم– تقوى الله تعالى بإخلاص العبادة له وجمع المؤمنين فيه على ما يرضيه من التعارف والتعاون على البر والتقوى – هو أحق أن تقوم فيه أيها الرسول مصلياً بالمؤمنين عن غيره، والسياق يدل على أن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم – مسجد قباء، وهذا المسجد فيه رجال يعمرونه بالاعتكاف وإقامة الصلاة وذكر الله وتسبيحه فيه بالغدو والآصال، يحبون أن يتطهروا بذلك من كل ما يعلق بأنفسهم من درن الآثام، أو التقصير في إقامة دعائم الإسلام[38].

هذا ولقد وضع النبي ﷺ من خلال المسجد أرقى الأسس وأقواها في كيفية صناعة الأمة وتوحيدها دينياً ودنيوياً؛ ولإدراك أهمية هذه الخطوة التي قام بها الرسول

38 Rashīd Riḍā (1990). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Ḥakīm* (Vol. 11), p. 34.

ﷺ ومدى أثرها في بناء الأمة الإسلامية، والحرص على وحدة تكوينها وأهدافها وغاياتها، لابد من الوقوف على الوظيفة التي أرادها الرسول ﷺ للمسجد الذي بناه، وهي كالتالي:

1. مركزية العبادة والتعليم والتوجيه والإرشاد والتفقه في الدين، وذلك بتبليغ الوحي وتبيينه للمسلمين في خطب الجمعة تارة، ومجالس العلم تارة أخرى، وفي كل فرصة تسنح للنبي ﷺ. ومن ثم أصبح المسجد المعين الذي يغذي القلوب والأرواح والعقول.

2. مركزية الإدارة لشؤون الدولة الداخلية والخارجية: فكان النبي ﷺ يجتمع بالمسلمين في المسجد للتشاور معهم في مهمات المسائل. وفي المسجد كان يستقبل الوفود التي تجيء لأغراض مختلفة. لذلك كان المسجد أشبه بقاعة استقبال رسمية مفتوحة ومهيأة في جميع الأوقات والأحوال لجميع الوافدين.

3. مركزية القيادة العسكرية: فكانت ألوية الجهاد بقيادة النبي ﷺ أو بمن ينيبه عنه تنطلق منه، وبه كانت تستقبل قوافل النصر والاستشهاد في سبيل الله.

4. مركزية الإدارة الاقتصادية: حيث كان المسجد بمثابة بيت مال المسلمين، حيث كان يجمع النبي ﷺ الصدقات والأموال فيه ويوزعها على مستحقيها.

5. مركزية القضاء: حيث كان يفصل فيه بين الخصوم.

6. مركزية لعلاج المرضى والجرحى: وبخاصة في أيام الحرب.

7. مركزية إدارة الشؤون الاجتماعية: ففيه كان تعقد الزيجات، ومنه كانت ت تخرج الجنائز، وفيه كان يتم الإيواء لمن لا مأوى له.

والمتأمل لهذه الوظائف وغيرها التي قام بها المسجد يتبين أن المسجد كان الرئة التي بها تتنفس الدولة لتكوين أمة موحدة ذات أهداف واحدة. والأهم من كل ذلك ترسيخ مفهوم ضرورة القيادة المركزية والنظام ووحدة الصف الواحد، وعلى أساس هذه الأفكار المترسخة في الوجدان قامت دعائم الدولة الإسلامية، فأصبح المسلمون يتعاملون مع القائد بصورة مختلفة عما كانوا يتعاملون بها مع رئيس العشيرة. ومن هنا فقد كان المسجد نقطة التغيير الأولى باتجاه تنظيم المسلمين في الإطار الجديد، وهو إطار الدولة الإسلامية التي لا ينفصل فيها الدين عن السياسة. كما كان نقطة التغيير في حياة المسلمين وإذابة الفوارق العصبية والعشائرية ونزع بذور الشقاق من صدور المسلمين، وعدم التمييز بين أفراد المجتمع الذي يصطف صفاً واحداً دون تفرقة أو تمييز في مكان واحد خمس مرات في اليوم والليلة، حيث حديث النبي ﷺ «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[39].

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: تلت بناء المسجد النبوي خطوة مهمة لتعزيز الوحدة بين المسلمين وهي المؤاخاة بين المهاجرين، حيث أمر النبي ﷺ بأن يأخذ كل رجل من الأنصار أخاً له من المهاجرين، وجعل تلك الأخوة يتوارثون بها حتى نزلت آية المواريث، وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلا: خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة

---

39 Ibn Ḥanbal, Aḥmad (2001). *Al-Musnad* (Shu'ayb Al-Arna'ūṭ, Ed.). (Vol. 38). n.p. (Bāb Ḥadīth Rajul min Aṣḥāb Al-Nabī Ṣallā Allāh 'alayh wa Sallama, no. hadith: 23489), p. 474 (والحديث صحيح الإسناد).

وأربعين من الأنصار، ويقال: خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء، ويقال: إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاريّ[40].

ولذلك نجد أن هذه المؤاخاة لها أبعاد كثيرة في تثبيت دعائم المجتمع ومن ثم الدولة، ومن ذلك ما يلي:

1- البعد الاجتماعي للمؤاخاة: جاء التآخي ليجعل من المهاجرين والأنصار وحدة اجتماعية متماسكة تسودها المحبة والتآلف وتكون القاعدة الصلبة لنواة الدولة الإسلامية، ومن أجل هذا اتخذ رسول الله ﷺ من حقيقة التآخي الذي أقامه بين المهاجرين والأنصار أساساً لمبادئ العدالة الاجتماعية التي قام على تطبيقها أعظم وأروع نظام اجتماعي في العالم.

ويطيب ذكر كلام الأستاذ رمضان البوطي في مسألة الأخوة لما له من عظيم الفائدة، إذ يقول: " إن المجتمع- أي مجتمع- إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس منتشرة متفككة، بشيء واحد، هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها، فإن كان هذا التعاون والتناصر قائمين طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم، فذلك هو المجتمع العادل السليم، وإن كانا قائمين على الحيف والظلم، فذلك هو المجتمع الظالم والمنحرف. وإذا كان المجتمع السليم إنما يقوم على أساس من العدالة في الاستفادة من أسباب الحياة والرزق، فما الذي يضمن سلامة هذه العدالة وتطبيقها على خير وجه؟

---

40 Al-Maqrīzī, Aḥmad bin ʻAlī (1999). *Imtāʻ al-Asmāʻ bi mā li Al-Nabī min Al-Aḥwāl wa Al-Amwāl wa Al-Ḥafadah wa Al-Matāʻ*(Muḥammad ʻAbd Al-Ḥamīd, Ed.). (Vol. 1). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah, p. 69.

إن الضمانة الطبيعية والفطرية الأولى لذلك، إنما هي التآخي والتآلف، يليها بعد ذلك ضمانة السلطة والقانون... من أجل هذا، اتخذ رسول الله ﷺ من حقيقة التآخي الذي أقامه بين المهاجرين والأنصار أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية التي قام على تطبيقها أعظم وأروع نظام اجتماعي في العالم. ولقد تدرجت مبادئ هذه العدالة فيما بعد بشكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة، ولكنها كلها إنما تأسست وقامت على تلك (الأرضية) الأولى، ألا وهي الأخوة الإسلامية ولولا هذه الأخوة العظيمة، التي تأسست بدورها على حقيقة العقيدة الإسلامية، لما كان لتلك المبادئ أي أثر تطبيقي وإيجابي في شدّ أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه"[41].

2- البعد السياسي للمؤاخاة: إن عملية التآخي بين المهاجرين والأنصار جعلت منهم قوة كبرى لها أهميتها، يحسب لها أعداؤها من المشركين في مكة واليهود في المدينة حساباً كبيراً. ولهذا خطى النبي ﷺ هذه الخطوة لإذابة الفروقات والحساسيات بين أبناء الشعب الواحد ليصبح هذا الشعب نسيجاً مترابطاً واحداً، لأن الأمة الموحدة هي القادرة على الوقوف على أقدامها وتحدي الصعاب مهما بلغت، فأسوأ ما يصيب أمة من الأمم ليس الفقر أو الحرب، بل الأسوأ أن يتم زرع الشقاق والخلاف بين فئات المجتمع الواحد، فبالنسيج المتكامل تستطيع الأمة أن تخطو

41 Al-Būṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān (2017). *Fiqh Al-Sīrah Al-Nabawiyyah maʿa Wajīz Al-Khilāfah Al-Rāsidah* (25th ed.). Dār Al-Fikr, p. 149.

خطوات منتظمة إلى بناء حضارتها وتقدمها[42]، فالوحدة هي عنوان قوة وصحوة لكل أمة؛ وبذلك استطاع النبي ﷺ أن يضمن بخطوة المؤاخاة وحدة المسلمين ليكونوا قادرين على تحمل مسؤولياتهم تجاه دولتهم الناشئة، ومحصنين من الفتن الداخلية التي تظهر عادة في الدول نتيجة التفرقة وتعدد فصائل أبنائها واختلاف مستوياتهم وتعدد أعراقهم ولغاتهم.

3- البعد الاقتصادي للمؤاخاة: كان للتآخي بين المهاجرين والأنصار بعد اقتصادي ذو تأثير كبير في دولة الإسلام الأولى، إذ حقق هذا التآخي التوازن الاقتصادي بين المهاجرين والأنصار، وذلك عن طريق جعل حق الميراث منوطاً بهذا التآخي من دون حقوق القرابة والرحم. بل دفع هذا التآخي الأنصار إلى اقتسام أموالهم وأهليهم مع المهاجرين، وما قام به سعد بن الربيع الذي كان قد آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف خير دليل، إذ عرض سعد على عبد الرحمن بن عوف أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمة متساوية، ولكن عبد الرحمن شكره وطلب منه أن يدله على سوق المدينة ليعمل بها[43].

ولقد استطاع النبي ﷺ عن طريق التآخي أن يعالج واحدة من أكبر المشكلات التي من الممكن أن تهدد الوحدة الاقتصادية في الدولة الوليدة، وتحدث فيها أزمة اقتصادية تؤدي إلى إضعافها وانهيارها. وبعد الهجرة فقد وفد المهاجرون إلى المدينة، تاركين أموالهم وأهليهم ومنازلهم،

---

42 Al-'Arabī, Muḥammad Mamdūḥ (1988). *Fī Al-Madīnah*. Al-Hay'ah Al-Miṣriyyah Al-'Āmah li Al-Kitāb, p. 166.

43 Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā' (1976). *Al-Sīrah Al-Nabawiyyah: Min Al-Bidāyah wa Al-Nihāyah li Ibn Kathīr* (Muṣṭafā 'Abd Al-Wāhid, Ed.). (Vol. 2). Dār Al-Ma'rifah li Al-Ṭibā'ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzī', p. 327.

وكان أغلبهم من الفقراء والعبيد، مما يشكل تفاوتاً بالغاً بين الأنصار الذين يعيشون في منازلهم ويعملون في أراضيهم مما يجعلهم يعيشون حياة شبه مستقرة لولا استغلال اليهود لجهودهم وعرقهم، وبين المهاجرين الذين يحتاجون إلى مساعدة وتأمين موارد رزق لهم، خاصة أن المهاجرين لم تكن لهم خبرة بالزراعة، بل جل خبراتهم كانت في التجارة، لذلك لم يكن أمام النبي ﷺ إلا هذا التآخي الذي دمج فيه الأنصار والمهاجرين في حلقة اقتصادية واحدة جعلت الأنصاري يزرع والمهاجر يبيع أو يعمل بالأرض بالإيجار، وكان هذا إلغاء لدور اليهود الاقتصادي في المدينة وتهميشه[44].

ثالثاً: وثيقة المدينة (أول دستور للدولة في الإسلام): بعد أن أصبح للمسلمين مركز واحد متمثل في المسجد (الأساس الأول)، وبعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (الأساس الثاني)، كان لابد من الأساس الثالث، وهو تنظيم شؤون المسلمين فيما بينهم وعلاقتهم بالدولة وتنظيم علاقة الطوائف الأخرى الموجودة في المدينة والمتمثلة بشكل أساسي باليهود بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه الدولة.

وفي هذا لفتة مهمة إلى اهتمام الرسول ﷺ بمن يعيشون معه في نفس الدولة من غير المسلمين، وإعطائهم فرصة المشاركة في بناء الدولة بجانب المسلمين، وعدم إهمالهم، حتى لا يكونوا عامل هدم مستقبلاً لهذه الدولة، وذلك من خلال استغلال الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية الناشئة لوضعهم المهمش، أو بعدهم عن الدولة.

---

44 Al-Mūsawi, Muḥsin (1990). *Dawlah Al-Rasūl*. Dār Al-Bayān Al-'Arabī, p. 193.

وبعقد هذه المعاهدة صارت المدينة كلها وما حولها دولة موحدة متفقة، وعاصمة هذه الدولة هي المدينة المنورة، ورئيس هذه الدولة هو النبي ﷺ، والكلمة الأولى فيها للمسلمين، وبذلك استتب الأمر للنبي ﷺ، وأصبحت المدينة عاصمة دولة الإسلام.

هذا وتظهر أهمية ما قام به النبي ﷺ من عمل حين النظر إلى الأوضاع العامة السائدة في جزيرة العرب حينها، حيث النزعة الفردية والفوضى القبلية واللا قانون؛ وفي قلب هذا المجتمع أنشأ رسول الله ﷺ مجتمعاً جديداً يقوم على النظام العادل بين أفراده، فأخذ يرسي دعائم الدولة الموحدة التي تقوم على سيادة القانون الإلهي الذي لا يأتيه الباطل، وليس على سيادة أهواء قبلية أو عشائرية أو غير ذلك.

وبذلك يمكن القول إن النبي ﷺ بعد بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووضع الدستور الأول للدولة بين كل طوائفها، يمكن القول إنه قد تم وضع الأسس اللازمة لسلامة المجتمع الذي تقوم عليه الدولة من الداخل، لتتفرغ الدولة لمواجهة الخارج.

5. الخاتمة واستنتاجات البحث

من خلال هذه الجولة القرآنية والحديثية مع المجتمع والفرد، فإن الباحث قد تبين له العلاقة التلازمية بين الدولة والقرآن والسنة والمجتمع، ولا يمكن الفصل بين هذه المفردات، فكلها متداخلة تأثراً أو تأثيراً، وبالتالي فقد توصل هذا البحث إلى عدة استنتاجات منها:

1. أن الدولة فريضة شرعية للحفاظ على بيضة الإسلام، وضرورة بشرية لإصلاح حال العباد والبلاد.
2. أن ثمة تلازم بين قوة المجتمع وصلاح الفرد وبين تأسيس الدولة، بله الحفاظ على سلامتها وقوتها.

3. أن الدولة التي لا تهتم بقوة وتماسك المجتمع بكل طوائفه، وصلاح الأفراد وتربيتهم في كل الجوانب اللازمة، هي دولة محكوم عليها بالفشل.

4. أن المسلمين بتطبيقهم لمعاني الدولة قد سبقوا غيرهم إلى الديموقراطية وتداول السلطة، بينما يرزح باقي العالم تحت نير الطغيان والاستبداد.

5. أن المنهج القرآني النبوي في بناء الدولة من خلال بناء الفرد والمجتمع، هو أفضل منهج يمكن اتباعه، وذلك لامتيازه بربانية المصدر والمرونة في التطبيق.

6. أن المجتمع الأفلطوني الفاضل، والمدينة الفاضلة الشهرة لأفلاطون لم تتحقق على أرض الواقع في التاريخ البشري كله إلا في مدينة النبي ﷺ.

المصادر و المراجع

REFERENCES:

Al-Qur'ān Al-Karīm.

Al-ʻArabī, Muḥammad Mamdūḥ (1988). *Fī Al-Madīnah.* Al-Hay'ah Al-Miṣriyyah Al-ʻĀmah li Al-Kitāb.

Al-Andalusī, Ibn ʻAṭiyyah (2002). *Al-Muḥarrar Al-Wajīz fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʻAzīz* (ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī Muḥammad, Ed.). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah.

Al-Bayhaqī, Abū Bakr (2003). *Shuʻb Al-Īmān.* Maktabah Al-Rushd li Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ & Al-Dār Al-Salafiyyah.

_____, (2011). *Al-Sunan Al-Kabīr* (ʻAbd Allāh bin ʻAbd Al-Muḥsin Al-Turkī, Ed.). Markaz Hajar li Buḥūth wa Al-Dirāsāt Al-ʻArabiyyah wa Al-Islāmiyyah.

Bilaqzīz, ʻAbd Al-Ilah (2008). *Al-Daulah wa Al-Mujtamaʻ Jadaliyyāt Al-Tawḥīd wa Al-Inqisām fī Al-Ijtimāʻ Al-ʻArabī Al-Muʻāṣir.* Maktabah Al-Fikr Al-Jadīd wa Al-Shabakah Al-ʻArabiyyah li Al-Abḥāth wa Al-Nashr.

Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismāʻīl (2002). *Al-Jāmiʻ Al-Musnad Al-Ṣaḥīḥ Al-Mukhtar min Umūr Rasūl Allāh wa Sunanih wa Ayyāmih: Ṣaḥīḥ Al-*

Bukhārī (Muḥammad Zuhayr bin Nāṣir Al-Nāṣir, Ed.). Dār Ṭawq Al-Najāh.

Al-Būṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān (2017). *Fiqh Al-Sīrah Al-Nabawiyyah maʿa Wajīz Al-Khilāfah Al-Rāsidah* (25th ed.). Dār Al-Fikr.

Al-Dhahabī, Muḥammad Husayn (1986). *Athar Iqāmah Al-Ḥudūd fī Istiqrār Al-Mujtamaʿ* (2nd ed.). Maktabah Wahbah.

Al-Harawī, Abū Manṣūr (2001). *Tahdhīb Al-Lughah* (Muḥammad ʿAuḍ Marʿab, Ed.). Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī.

Hishām, Abū Muḥammad ʿAbd Al-Malik (1955). *Al-Sīrah Al-Nabawiyyah li Ibn Hishām* (Muṣṭafā Al-Saqā, Ibrāhīm Aybārī & ʿAbd Al-Ḥafīẓ Al-Shalabī, Eds.). (2nd ed.), Sharikah Maktabah wa Maṭbaʿah Al-Bābī Al-Ḥalabī wa Awlāduh.

Ibn ʿĀsūr, Muḥammad Al-Ṭahir (1984). *Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr: Taḥrīr Al-Maʿnā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-ʿAql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd.* Al-Dār al-Tunisiyyah li Al-Nashr.

Ibn al-Athīr, ʿIzz al-Dīn (1997). *Al-Kāmil fī Al-Tārīkh* (ʿUmar ʿAbd Al-Salām, Ed.). Dār Al-Kitāb Al-ʿArabī.

Ibn Ḥanbal, Aḥmad (2001). *Al-Musnad* (Shuʿayb Al-Arnaʾūṭ, Ed.). n.p.

Ibn Isḥāq, Muḥammad (1978). *Sīrah Ibn Isḥāq: Kitāb Al-Siyar wa Al-Maghāzī* (Suhayl Rikāz, Ed.). Dār Al-Fikr.

Ibn Kathīr, Abū Al-Fidāʾ (1976). *Al-Sīrah Al-Nabawiyyah: Min Al-Bidāyah wa Al-Nihāyah li Ibn Kathīr* (Muṣṭafā ʿAbd Al-Wāhid, Ed.). Dār Al-Maʿrifah li Al-Ṭibāʿah wa Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

Ibn Manẓūr, Abū Al-Faḍl (1994). *Lisān Al-ʿArab* (3rd ed.). Dār Ṣādir.

Ibrāhīm, Imām (1984). *Dawr Al-Iʿlām fī Al-Taḍāman Al-Islām* (16th ed.). Al-Jāmiʿah Al-Islāmiyyah.

Jacques Dondier de Fabre (n.d.). *Al-Dawlah* (Aḥmad Ḥasīb ʿAbbās, Trans.). Sharikah Al-Amal.

Al-Jawābī, Muḥamad Ṭāhir (2000). *Al-Mujtamaʿ wa Al-Usrah fī Al-Islām* (3rd ed.). Dār ʿĀlim Al-Kutub li Al-Ṭibāʿah wa Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

Khālid, Khālid bin (2004). *Al-Dawlah fī Al-Islām* (4th ed.). Dār al-Maqṭum li Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

Al-Maʿāny. (2023). Al-Tashrīʿ Al-Qurʾānī. In *Al-Maany.com dictionary.* Retrived May 1, 2023, from https://bit.ly/2Eo2Jxn

Al-Maqrīzī, Aḥmad bin ʻAlī (1999). *Imtāʻ al-Asmāʻ bi mā li Al-Nabī min Al-Aḥwāl wa Al-Amwāl wa Al-Ḥafadah wa Al-Matāʻ* (Muḥammad ʻAbd Al-Ḥamīd, Ed.). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah.

Al-Mubārakfūrī, Ṣafiyy Al-Raḥmān (n.d.). *Al-Raḥīq Al-Makhtūm*. Dār Al-Hilāl.

Mujīb, ʻAbd Al-Munʻim (2015, June 4). Kayf Banā Al-Nabī Muḥammad Ṣallā Allāh ʻalayh wa Sallama Al-Dawlah Al-Islāmiyyah?. In *IslamWay*. https://tinyurl.com/y54zfouy.

Al-Mūsawi, Muḥsin (1990). *Dawlah Al-Rasūl*. Dār Al-Bayān Al-ʻArabī.

Nabi, Mālik bin (1986). *Shurūṭ Al-Nahḍah* (ʻAbd Al-Ṣabūr Shāhīn, Ed.). Dār Al-Fikr.

Al-Naysābūrī, Abū ʻAbd Allāh Al-Ḥākim (1990). *Al-Mustadrak ʻalā Al-Ṣāḥīḥayn* (Muṣṭafā ʻAbd Al-Qādir ʻAṭā, Ed.). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah.

Al-Naysābūrī, Muslim bin Al-Ḥajjāj (n.d.). *Al-Musnad Al-Ṣaḥīḥ Al-Mukhtaṣar bin Naql Al-ʻAdl ʻan Al-ʻAdl ilā Rasūl Allāh Ṣallā Allāh ʻalayh wa Sallama*. Dār Iḥyāʼ Al-Turāth Al-ʻArabī.

Al-Qaradāwī, Yūsuf (1997). *Min Fiqh Al-Dawlah fī Al-Islām*. Dār Al-Shurūq.

Rashīd Riḍā, Muḥammad (1990). *Tafsīr Al-Qurʼān Al-Ḥakīm: Tafsīr Al-Manār*. Al-Hayʼah Al-Miṣriyyah Al-ʻĀmah li Al-Kitāb.

Al-Rāzī, Abū ʻAbd Allāh Zayn Al-Dīn (1999). *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ* (Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, Ed.). (5th ed.). Al-Maktabah Al-ʻAṣriyyah & Al-Maktabah Al-Mamūdhajiyyah.

Salīm, Danā (2018). Mā Huwa Maʻnā Al-Amn fi Al-Lughah? Wa Mādhā Yaʻnī Al-Amn Al-Ijtimāʻī Taʻrīfāt Mutaʻaddidah. *Tharwatanā*. https://bit.ly/2v52wuC.

Sayyid Quṭb (1992). *Tafsīr Fī Ẓilāl Al-Qurʼān* (17th ed.). Dār Al-Shurūq.

Al-Shawkānī, Muḥammad bin ʻAlī (1994). *Fatḥ Al-Qadīr*. Dār Ibn Kathīr & Dār Al-Kalim Al-Ṭayyib.

Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn (2005). *Jamʻ Al-Jawāmiʻ: Al-Jāmiʻ Al-Kabīr* (Mukhtār Ibrāhīm Al-Hāʼij, ʻAbd Al-Ḥamīd Muḥammad Nadā & Ḥasan ʻĪsā ʻAbd Al-Ẓāhir, Eds.). (2nd ed.). Al-Azhar Al-Sharīf.

Wāfī, ʻAlī ʻAbd Al-Wāḥid (n.d.). *ʻIlm al-Ijtimāʻ*. Nahḍah Miṣr li Al-Ṭibāʻah wa Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ.

Al-Wāqidī, Muḥammad bin ʻUmar (1989). *Al-Maghāzī* (Marsden Jones, Ed.). (3rd ed.). Dār Al-Aʻlamī.

Wikipedia. (2023). Istiqrār Siyāsī. In *Wikipedia.Org*. Retrived May 1, 2023, from https://bit.ly/2EqieVv.

Al-Zuhaylī, Wahbah bin Muṣṭafā (1998). *Al-Tafsīr Al-Wasīṭ* (2nd ed.). Dār Al-Fikr Al-Muʿāṣir.